



حق إنساني لا جدال فيه، لكنني أقف في صفوف القراء لأحتفظ وإياهم بحقي في الحلم على طريقتي. فحين يصير الحلم أكبر من الحال يتحول إلى Kapoor مرعب لمائة عام مقبلة.

كلّ ما قالته الصحف والإنترنت ورجال الأعمال والدبلوماسيون فيما مضى عن حلم حمص لا يعنيني، ما يعنيني أنا الفقيرة الغنية بعشقي الخradi لحمص هو ماذا سأروي لأولادي عن معانٍي الحلم وكيف سأفسره لهم، وأنا لست ابن سيرين ولا أملك من فنون التفسير سوى قلب صغير تعلق بأهداب أم رؤوم، شابت ذوئبها وهي تروي الياسمينة والفلة والقرنفلة في باحة الدار؛ كان من الممكن أن أتجاهل التفسير وأقول لهم إنها مجرد أضغاث أحلام ما عليكم إلا أن تلتفتوا يسرة وتنتفتوا ثلاث مرات قائلين: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ولا ترووا حلمكم لأحد مغبة أن يقع. ولكن حين تلامس الرؤية أقدار جيل بأكمله يختلف الموضوع ولا أستطيع أن أجاهله. هنا يتداخل الحلم بالواقع كتدخل السكين في أنسجة القلب... إنها سكين مصممة حسب المواصفات العالمية القياسية .. حضارية بكل المعايير، نال مصمّمها براءة اختراع لأنّه استطاع أن يزورها برأس نووي فأصبحت تضاهي كل سكاكين العالم بقدرتها على اختراق شغاف القلب... واستطاعت هذه السكين أن تقطع نياط الروح وأن تجتث همزات الوصل بين أعضاء الجسد الواحد ببراعة المحترف، هذه هي مشكلتي مع الحلم ومشكلة كل الأمهات والأباء من شرق حمص لأقصى غريبها ... لقد شعروا فجأة أن الأرض تميد من تحتهم وأن الآثار الجانبية للدواء الذي وصفه الأطباء لشفاء علة التخلف في حمص بدأت تفعل فعلها ولربما أدت إلى تغيير زمرة دمهم ولون بشرتهم وصوت ضحكتهم، ولربما يشيخ من تأثيرها الولدان، ولربما تسقط بسببيها أسنان الشباب دفعه واحدة. حاولوا كثيراً تمزيق حمص، حاولوا فك ضفائرها ونشر شعرها، حاولوا تقويض أركان البنية الديموغرافية لحمص، وتشتيت سكانها وإعادة هيكلتها على طريقتهم. وطالما قاوم أهلها محاولات التفكيك هذه، وتصدوا لها حتى أنهم خرجن بالعصي إلى مركز قيادة المحافظة، لوقف عمليات هدم سوق الناعورة العريق وإخلاء البيوت وال محلات من أصحابها قسراً. ومع ذلك ظلّ أهل حمص يشعرون أن المدينة تتجه باتجاه خطير، يهدّد حاضرها ومستقبلها، يتركّز بتغيير معالم المدينة، وإعادة توزيع سكانها وسحب السجادة من تحت أقدام البعض لوضعها تحت أقدام فئات معينة معروفة.

وفي مسار التغييرات الكبرى، تتم السرقات الكبرى الممنهجة تحت غطاء التطوير والتحديث، كلمتان ممزوجتان بالكثير من التآمر والاستغلال. لقد حاولوا أن يسرقوا ميراث الأجداد وكنوزهم الثمينة، حتى شعرنا لوهلة أننا سنبل قصائد ديك الجن

حاولوا أنْ يفجّروا بعبوة ناسفة كلَّ الخرائط الذهنية والتضاريسية للعدية وأنْ يمحوا بضغطه زر واحدة كلَّ الأهازيج الشعبية التي لقناها إياها العشب الأخضر يوماً على ضفاف العاصي تحت عرائش الميماس.

والليوم يعود التتار بصورة أبشع لتحقيق حلمهم القديم، حلم إقامة الدولة العلوية على أرض العدية. وفي مساحة دائمة كأرض حمص ينام فيها الناس على جرح واحد ويصحون على جرح واحد، تصبح أحلام التقسيم كابوساً غير مسموح به... وعلى هذه المساحة الآمنة لا مكان للصواعق التي تزلزل الأرkan ولا مجال للأعاصير الاستوائية التي تفرق الأزمان ولا مبرر لكلِّ التناقضات الجوية التي لم تعتدُ عليها أمطار نيسان... حمص اليوم تباد حمراً حمراً، وتتصف شجراً شجراً، وتحرق بشرأً بشراً، وتستمر سياسة البشر المحروقة فوق الأرض المحروقة، وتستمر سياسة لعبة التجويع والتروع الفدراة بهدف دفع الأهالي للنزوح، تحت تهديد خطر الذبح والاغتصاب، ليتم الاستيلاء على ممتلكاتهم وسرقة أموالهم وأرزاقهم، وتدمر وحرق ما بقي منها، برakan الحقد المتأجج يقذف حممه بلا رحمة، والهدف إخلاء حمص من سكانها وتحويلها إلى مملكة أسدية ترتع فيها الوحش، وبدعم روسي-إيراني، وتغطية دولية وصمت عربي، وباركة إسرائيلية تباد مدينة بأكملها. ويستفحـلـ المـجـرـمـونـ فيـ إـجـرـامـهـ إـلـىـ حـدـ المـغـالـاةـ وـالـاستـمـراءـ لـأـنـهـ أـصـبـبـواـ بـسـرـطـانـ القـتـلـ وـالـعـطـشـ لـلـدـمـاءـ فـلـمـ يـعـدـ يـفـلـحـ معـهـمـ حـتـىـ العـلـاجـ أـوـ اللـاحـ،ـ كـنـاـ قـبـلـ الـيـوـمـ نـحـلـ باـسـتـعـادـةـ الـأـنـدـلـسـ وـاـسـتـرـجـاعـ مـازـعـ الدـرـاقـ فيـ غـرـنـاطـةـ،ـ بـعـدـ أـنـ نـصـلـيـ رـكـعـتـينـ فيـ الـأـقـصـىـ،ـ وـنـحـسـيـ فـنـجـانـ قـهـوةـ فيـ بـيـارـاتـ الـبـرـقـالـ فـيـ يـافـاـ،ـ وـنـلـقـيـ أـمـسـيـةـ شـعـرـيـةـ حـوـلـ الـكـرـامـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـمـرـكـزـ الثـقـافـيـ الـعـرـبـيـ فـيـ غـزـةـ.ـ فـأـصـبـحـنـاـ الـيـوـمـ نـحـلـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ حـمـصـ،ـ وـنـحـلـ باـسـتـعـادـهـاـ مـنـ بـرـاثـنـ الـمـحـتـلـينـ.

قال لي والدي يوماً: إنَّ مفتاح القدس ثلاثي الأبعاد يتكون من أقانيم ثلاثة: الإيمان والعلم والكافح، هذى الأقانيم الثلاثة كيف تهزم إذا ما اجتمعـتـ؟ـ والـيـوـمـ أـصـبـبـواـ أـلـقـاـيـةـ حـرـوـفـيـ كـلـمـاـ نـطـقـتـ اـسـمـ الـغـالـيـةـ "ـحـمـصـ"ـ وـيـتـحـولـ لـونـ وجـهـيـ إـلـىـ مـزـيـجـ منـ الشـعـمـ وـالـزـعـفـرـانـ ...ـ أـلـيـسـ هـذـاـ لـونـ وجـهـ الـحـقـيـقـةـ ؟ـ؟ـ وـلـوـجـهـ الـحـقـيـقـةـ أـقـوـلـ:ـ إـنـ لـحـمـصـ حـلـمـ غـيـرـ حـلـمـهـ،ـ فـحـلـمـ حـمـصـ صـقـرـ جـامـحـ يـحـلـقـ فـيـ الـأـعـالـىـ وـلـاـ يـرـضـىـ إـلـاـ الـقـمـ سـكـنـاـ لـهـ،ـ فـحـينـ يـطـيـرـ حـلـمـهـ بـجـنـاحـيـنـ مـنـ شـمـعـ لـابـدـ أـنـ يـذـوـبـاـ تـحـتـ شـمـسـ النـهـارـ السـاطـعـةـ.ـ لـقـدـ أـخـطـأـوـاـ حـينـ حـاـولـواـ أـنـ يـزـرـعـواـ بـذـورـهـمـ فـيـ أـرـضـ شـدـيـدـةـ الـمـلـوـحةـ وـأـخـطـؤـواـ حـينـ لـمـ يـدـرـسـواـ مـكـانـيـكـ التـرـبةـ وـبـنـيـةـ الطـبـقـاتـ الـجـيـوـلـوـجـيـةـ لـلـعـقـلـيـةـ الـحـمـصـيـةـ،ـ وـلـمـ يـدـرـكـواـ مـدىـ اـسـتـعـادـهـاـ لـمـقاـوـمـةـ الـبـرـكـانـ،ـ أـخـطـؤـواـ حـينـ لـمـ يـدـرـكـواـ أـنـ اـخـتـرـاقـ خطـ بـارـلـيفـ أـهـوـنـ بـكـثـيرـ مـنـ اـخـتـرـاقـ جـدـرـانـ قـلـعـةـ حـمـصـ؛ـ لـأـنـ اـخـتـرـاقـهـ يـعـنـيـ اـخـتـرـاقـ شـغـافـ الـقـلـبـ النـابـضـ بـعـشـقـ هـوـاءـ الـعـدـيـةـ.ـ فـلـتـنـهـضـيـ يـاـ قـوـاتـ الرـدـعـ الـحـمـصـيـةـ وـلـتـعـلـنـيـ حـرـوـبـ الرـدـدـ منـ جـدـيدـ ...ـ قـاـوـمـيـ ذـلـكـ التـيـارـ الـذـيـ سـيـمـزـقـ أـوـصـالـكـ،ـ وـسـيـجـرـفـكـ بـعـيـدـاـ عـنـ جـنـورـكـ وـيـطـمـسـ مـعـالـمـكـ،ـ وـيـغـيـرـ مـلـامـحـ وـجـهـكـ الـفـاتـنـ.ـ لـاـ تـتـأـلـمـيـ إـنـ شـوـهـواـ وـجـهـكـ الـجـمـيلـ فـالـجـمـالـ الـرـبـانـيـ الـذـيـ يـرـاهـ الـعـاشـقـ فـيـ وـجـهـ مـعـشـوقـهـ لـاـ يـغـيـرـهـ الزـمـنـ وـعـوـاـمـلـ الـطـبـيـعـةـ،ـ وـإـنـ حـفـرـ الزـمـنـ أـخـاـيـدـهـ فـيـ وـحـولـهـ إـلـىـ مـاـ يـشـبـهـ الـبـرـقـالـةـ الـهـرـمـةـ ...ـ فـسـرـ جـمـالـ الـبـرـقـالـةـ الـهـرـمـةـ يـكـمـنـ فـيـ أـنـهـ تـخـتـصـ الـأـبـعـادـ وـتـلـغـيـ الـمـسـافـاتـ عـلـىـ تـضـارـيـسـ الـجـسـدـ الـوـاحـدـ لـتـزـدـادـ الـقـلـوبـ اـقـتـرـابـاـ وـتـأـجـجـ حـبـاـ وـتـكـافـاـ.